القُطُوفُ الدَّوَانِي
فِي شَرْحِ
نُونِيَّةِ القَحْطَانِي

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

الطَّبعَةُ الأُولَى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

رقم الإيداع: ١٧٣٠-٢٠١٣

ردمك: ٥-٠٢٠-٤٨-٩٩٤٧-٩٧٨

كنوز وفوائد
للنشر والإعلان

مؤسسة كنوز وفوائد للنشر والإعلان

الطريق الوطني رقم ٠٥ رقم ١٩ حاليا، قطعة رقم ٠٢ باب الزوار - الجزائر

kounouz.fawayed@gmail.com

توزيع

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع

الصنوبر البحري - المحمدية - الجزائر العاصمة

الجوال: 554250098 (00213) تلفاكس: 26936739 (00213)

البريد الإلكتروني: dar.mirath@gmail.com

القطوف الدوانيّ
في شرح
نونية القحطانيّ

شرح

فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي

المدرس بالمسجد النبوي

وموجه الدعاة بفرع وزارة الشؤون الإسلامية بمنطقة المدينة النبوية

وعضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية - سابقًا

فوائد

للنشر والإعلان

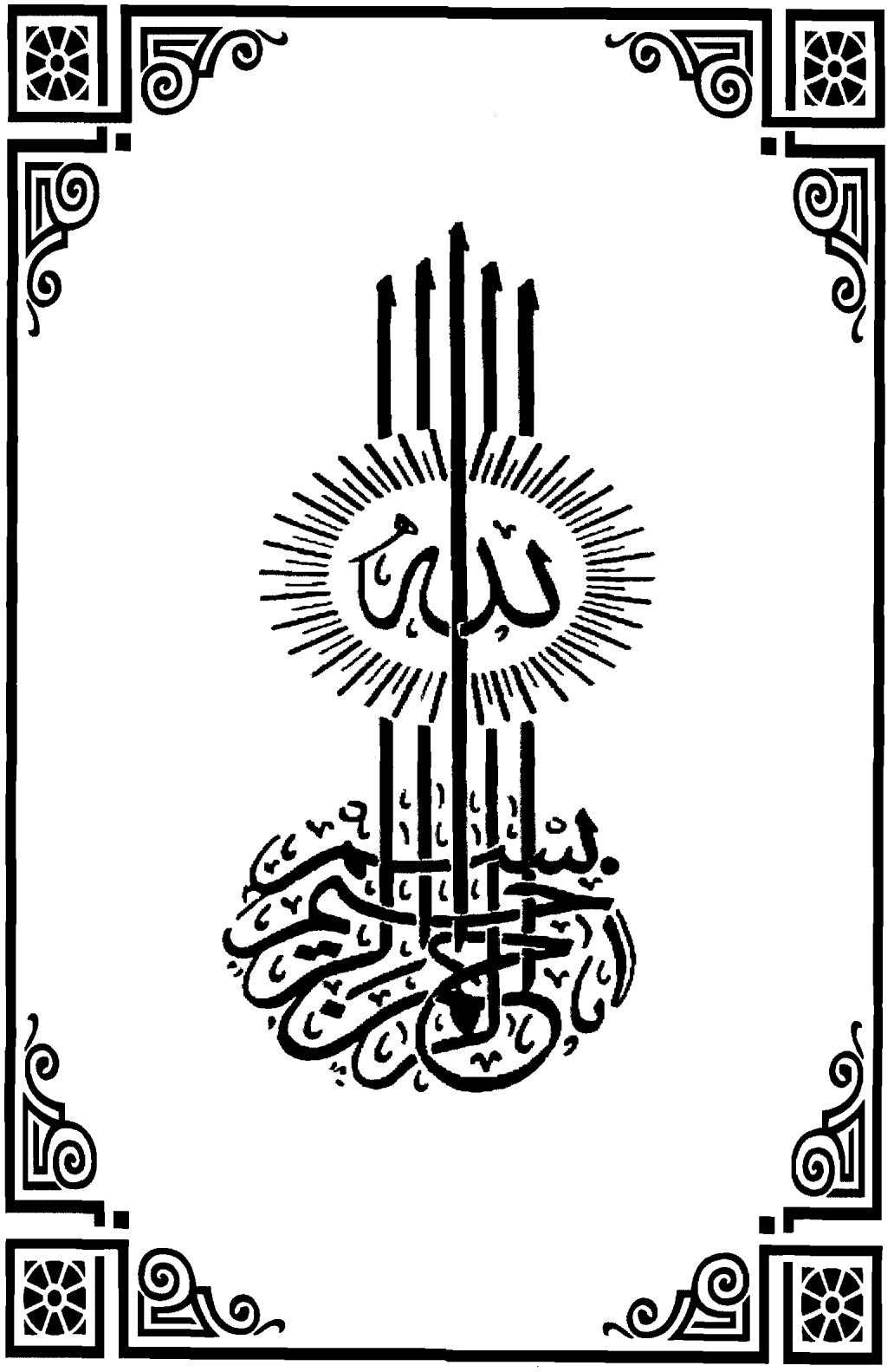

د. صالح بن سعد السحيمي الحربي
المدرس بالمسجد النبوي
موجه الدعاة بفرع وزارة الشؤون الإسلامية
بالمدينة النبوية
عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية (سابقاً)

بسم الله الرحمن الرحيم

Dr. Salih Saad Al-Suhaimi Al-Harbi
Teacher at the Mosque of the Prophet
Inspector of the Preachers in the Ministry
of Islamic Affairs, Madinah Branch
Member, Teaching Staff at the Islamic
University of Madinah Munawwarah

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد

فقد أذنتُ للأخ الشيخ العياشي العربي براهمي بطباعة كتابي الموسوم" القُطُوف الدّواني شرح نونية القحطاني" الطبعة الأولى، ولا أجيز لأحد طباعة الكتاب إلا بإذن مسبق مني، وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أملاه الفقير إلى عفو ربه د . صالح بن سعد السحيمي الحربي ١٤٢٤/٤/٢٦ هـ

المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة - ص.ب ٦٤٧ - فاكس ٨٤٧٣٦٣٤ جوال ٠٥٠٥٣١٠٦٩٢
Saudi Arabia - Al-Madina Al-Munawarah - P.O.Box 647 - Fax 8473634 - Mob. 0505310692

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلّا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلىٰ الله وسلم وبارك عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ أصدقَ الحديث كتابُ الله وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار[1].

أَمَّا بَعْدُ:

فقد منَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليَّ وفرغت من شرح بعض كتب السَّلف في المسجد النبوي وآخرها الرسالة التدمريَّة لشيخ الإسلام ابن تيميّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي تمّ بفضل الله عَزَّوَجَلَّ الانتهاء

---

(١) هذه هي خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، ودرج السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ علىٰ افتتاح خطبهم ودروسهم وكتبهم بها؛ وقد أخرجها مسلم [٨٦٧]، وأبو داود [٢١٢٠]، والنسائي [١٥٧٨]. وأفردها الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ برسالة لطيفة جمع الأحاديث الواردة فيها وأسماها «خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه».

منه ليلة الأوّل من هذا الشّهر المبارك شهر رمضان لعام ١٤٢٣ هـ، ونزولًا عند رغبة بعض الإخوة رأيت أن نبدأ في شرح القصيدة النونيّة للشيخ محمد بن عبد الله القحطاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ منبِّهًا في هذا اليوم علىٰ أهميَّة دراسة كتب السَّلف والاشتغال بها؛ لأن فيها الخير كل الخير، فالاهتمام بكتب السلف التي تتضمن الكلام في العقيدة والسنَّة والفقه والأدب وعليها طابع الإخلاص والتقىٰ والورع والإتقان ولا تكاد تمر جملة إلاَّ وتجد فيها إشارة إلىٰ آية أو حديث أو أثر عن السلف الصالح؛ بل ربما كان بعض الكلمات أو الجمل هي نصوص بعينها تُضمَّن في هذا الكتاب أو ذاك؛ لذلك فإن هذه الكتب عليها نور وفيها بركة ونفع كبير لطلاب العلم؛ فعلينا أن نشتغل بها بعد كتاب الله تَعَالَىٰ وسنَّة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنَّها بمثابة الشروح لهذين الوحيين؛ أعني: الكتاب والسنة؛ فإذا اهتمَّ بها المؤمنون عامّة وطلاب العلم خاصّة، فإنهم سيجدون عندهم حصيلة علميّة وافرة نافعة بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فهي كتب تنطق بهَدْي الكتاب والسنة إما لفظا وإما معنىٰ، ولذلك تبرز أهميتها وتعظم فائدتها لأنَّها إما أن تكون شرحًا لآية أو حديث أو تقريرًا لحكم دلت عليه الآية أو الحديث أو بيانًا لمدلول تلك الآية أو ذلك الحديث.

لذلك عندما يقرأ طالب العلم هذه الكتب يجد في قراءتها لذَّة خاصّة.

ويدرك من خلال ذلك أنَّ أهلها قد خالط هدي الكتاب والسنّة دماءهم وجرىٰ في عروقهم واطمأنت إليه قلوبهم، وانشرحت له صدورهم، خلافًا لأهل الأهواء والبدع الذين ليس لأحدهم إلاّ ما أُشرب من هواه «**تتجارىٰ بهم الأهواء كما يتجارىٰ الكَلَب بصاحبه**»[1]، أما علماء أهل السنة فإنَّ كتبهم تنطق بالهدىٰ والحقِّ؛ لأن أساسها ومبناها

---

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد [١٦٩٧٩]، والطبراني [٨٨٥]، والحاكم [٤٤٣] من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال الحاكم: هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [٤٨].

ومستندها ومنتهاها وقطب رحاها هو ذلكم الأساس المتين والحرز العظيم والركن الركين ألا وهو كتاب الله سُبْحَانَهُ الذي: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٢]، وسنة رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلَّا وحي يوحىٰ، فالاهتمام بذلك يُثري العقول والقلوب واللغة واللسان والجوارح بالتقىٰ والإيمان والعلم والفقه في الدِّين؛ لأنَّها ترجمة صادقة وصورة ناصعة وبيان واضح لما كان عليه القوم من تمسُّك بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ؛ لذلك قلّ عندهم الخطأ وإن كنَّا لا نعتقد العصمة لأحد بعد الرسل عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لكن أقول: يَقلُّ عندهم الخطأ إذا قورنوا بمن جاء بعدهم وكيف لا يَقلُّ عندهم الخطأ ومنهلهم ومشربهم وأساس دعوتهم ومنهج عقيدتهم وأساس وحدتهم هو كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ، ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التَّوْبَة: ١٠٩].

لذلك فإننا عندما نقرأ هذه الكتب ونتمعَّن فيها نلمس فيها الخير وصدق اللهجة وقوَّة الإيمان؛ لأنَّهم يهدفون إلىٰ أن يفهم النَّاس هذا الدِّين الصَّحيح الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، الذي لا غلوَّ فيه ولا تقصير، الذي لا وكس فيه ولا شطط، الدِّين الوسط الذي اختاره الله عَزَّوَجَلَّ لهذه الأمَّة ببعثة نبينا محمد ﷺ؛ ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٦٤].

فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق، والحمد لله الذي هدانا للإيمان، والحمد لله الذي هدانا لأن نكون من أهل السنَّة والجماعة أصحاب الطريق الوسط فإنَّ أهل السنة وسط بين الفرق كما أنَّ أمَّة نبينا محمَّد

ﷺ وسط بين الأمم؛ كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البَقَرَة: ١٤٣].

قال المفسِّرون في قوله: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ **أي:** عدولًا خيارًا، عدول خيار بين الأمم السَّابقة، فعلينا أن نفهم ذلك، فإذا تمعّنا في كتب السّلف التي أُلِّفت في العقيدة نجدها علىٰ هذا المنوال، بل لو استعرضتها - أيها الأخ المسلم - منذ صدور أول مؤلف في التوحيد إلىٰ ما ألَّفه وسطّره مشايخنا وعلماؤنا في هذا الزمان؛ لوجدتها تنطق بأسلوب واحد علىٰ منهج واحد، وتدعو إلىٰ هدف واحد؛ هو تحقيق التوحيد وتخليصه من شوائب الشرك والبدع والمعاصي والسير علىٰ الصراط المستقيم الذي أمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن نسير عليه بقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفَاتِحَة: ٦ - ٧].

وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأَنْعَام: ١٥٣].

وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأَنْفَال: ٢٤]

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأَحْزَاب: ٢١].

فكُتب السلف كلها علىٰ هذا المنوال لا تخرج عنه يمنة ولا يسرة، بل كلها تدعو إلىٰ هذا الأمر الذي دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ فينبغي لنا أن نسير علىٰ منهجهم وأن نحذو حذوهم وأن نسلك الطريق المستقيم الذي سلكوه، والذي من حاد عنه يمينًا أو شمالًا؛ شذَّ وضاع وضلَّ وأضلَّ وبَعُد عن منهج الله المستقيم، فهو

سبيل النّجاة وطريق السَّلامة، وأي منحىٰ يأخذ بصاحبه عن هذا الطَّريق، فإنَّه سيورده حياض الردىٰ ويبعده عن طريق النّجاة والهدىٰ، من ابتغىٰ الهدىٰ من غيره أضله الله، ومن طلب الهدىٰ من سواه أبعده الله؛ فهو صراط الله المستقيم ونوره المبين وهديه القويم وطريق السّالكين إلىٰ مرضاة رب العالمين، وهو الذي عناه ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعنوان كتابه: «مدارج السالكين شرح منازل السائرين بين إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين» للهروي. هذا هو الطَّريق الذي يجب أن نسير عليه وهو الذي يعنيه الرسول ﷺ بقوله: «**إنَّ هذا الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة[١] والروحة[٢] وشيء من الدلجة[٣]**»[٤]، وهو المعنيُّ بقول عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما قال: «سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا؛ الأخذ بها قوة علىٰ دين الله واستكمال لطاعة الله وتصديق بكتاب الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النَّظر في شيء خالفها، من استنصر بها فهو منصور، ومن اهتدىٰ بها فهو المهتدي، ومن خالفها وبدَّلها وغيَّرها واتبع غير سبيل المؤمنين؛ ولاَّه الله ما تولىٰ وأصلاه جهنَّم وساءت مصيرًا»[٥].

فيجب أن نسلك هذا السبيل، وأن نجتهد فيما يقرِّبنا إلىٰ مرضاة ربِّنا بفهم كتابه جَلَّ وَعَلَا وسنة رسوله ﷺ وفق فهم سلف الأمَّة - وفي مقدمتهم الصحابة رضوان الله عليهم الذين بهم قام القرآن وبه قاموا وبهم نطق القرآن وبه نطقوا؛ أولئك الغُرّ الميامين والسادة المتَّقين والعدول المقربين أصحاب رسول الله ﷺ الذين مدحهم الله في

(١) **الغَدْوَة**: المرّة من الغُدُوّ وهو سير أوّل النهار. انظر: «النهاية في غريب الأثر» (٣/ ٦٤٩).
(٢) **الروحة**: سير آخر النهار. انظر: المصدر السابق.
(٣) **الدلجة**: سَيْر الليل. انظر: «النهاية في غريب الأثر» (٢/ ٣٠٧).
(٤) أخرجه البخاري [٣٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٥) انظر: «الشريعة» للآجري، ص: [٤٨]، «الإعتصام» للشاطبي (١/ ٥٠)، «جامع بيان العلم وفضله»، ص: [٢١].

كتابه وأثنىٰ عليهم رسوله ﷺ؛ فقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨ - ١٠].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]؛ وقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فإنَّ أحدكم لو أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[(١)]، فعلينا إخوة الإيمان أن نعرف لهم حقَّهم وأن نسير علىٰ هديهم ومنوالهم وأن نجتهد في أن نكون علىٰ مثل ما تركهم عليه رسول الله ﷺ، حيث تركهم علىٰ مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء[(٢)]، فهم أمناؤه علىٰ تبليغ ما أوحىٰ إليه به ربُّه؛ الصّحابة هم الأمناء علىٰ الوحي بعد رسول الله ﷺ، وأيُّ قدح فيهم أو نيل منهم هو نيل من الدين كله.

ونعود إلىٰ أهمية قراءة ودراسة كتب السَّلف والمتون التي سطَّروها بأحرف من نور وفق هدي الكتاب والسنّة؛ ومن ذلكم ما نحن بصدد شرحه، وهي القصيدة النونية للشيخ

(١) أخرجه البخاري [٣٦٧٣]، ومسلم [٢٢١] من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه ابن ماجه [٥] من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «الصحيحة» برقم [٦٨٨].

محمد بن عبد الله القحطاني؛ تلكم القصيدة السلفية المشتملة علىٰ علوم شتىٰ من علوم القرآن والسنة والعقيدة وكثير من الأحكام والآداب والأخلاق، بل وجملة من علوم الطب والفَلَك والتاريخ...، فهي كما قال ناظمها:

جاءتكم سنية مأمونة ... من شاعر ذَرِبِ اللسان مُعان
يَهْوِي فصيحُ القولِ من لهَواته ... كالصخر يهبط من ذُرىٰ كَهْلان
هي للروافض دُرَّة عُمَريَّة ... تركت رؤوسَهُمُ بلا آذان
هي للمنجِّم والطبيب منيّة ... فكلاهما مُلْقان مختلفان
هي في رؤوس المارقين شقيقةٌ ... ضربت لفَرْط صُداعها الصُدغان
هي في قلوب الأشعرية كلِّهم ... صاب وفي الأجساد كالسَّعدان
لكن لأهل الحق شهدًا صافيا ... أو تمرَ يثربَ ذلك الصَّيحاني
مع أنها جمعت علوما جَمَّة ... مما يضيق لشرحها ديواني
أبياتها مثلُ الحدائق تُجتنَىٰ ... سمعا وليس يملهنَّ الجاني

وصاحب هذه المنظومة الغراء لم أقف له علىٰ ترجمة فيما اطلعت عليه من كتب التراجم والرجال، ولعله نظمها في وقت لأهل الباطل والبدع فيه صولة وغلبة مما جعله لا يظهر اسمه في هذه القصيدة، وإنما اكتفىٰ بلقبه القحطاني.

وأما ما ذكره الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد المدرس بدار الحديث الخيرية، بمكة المكرمة في مقدمته لهذه القصيدة، والتي عُنِي فيها بضبطها بالشَّكل دون شرح أو تعليق حيث قال: «تنسب هذه القصيدة للإمام الحبر، العالم الرباني، أبي محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني السلفي المالكي. وقال صاحب («أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة» ط: [١] المكتب الإسلامي): إن ناظم هذه القصيدة «لعله محمد بن صالح القحطاني المعافري الأندلسي المالكي أبو عبد الله» قلت: قال غُنجار: كان فقيهًا حافظًا، جمع

تاريخا لأهل الأندلس. وقال أبو سعيد الإدريسي في تاريخ سمرقند: إنه كان من أفاضل الناس ومن ثقاتهم. وقال السمعاني فيه: كان فقيهًا حافظًا، رحل في طلب العلم إلىٰ المشرق والمغرب. وذكره الحاكم أبو عبد الله في تاريخ نيسابور. وقال: اجتمعنا به بهمذان. كما روىٰ عنه أبو القاسم بن حبيب النيسابوري وغيره. كما ذكره ابن عساكر وأسند إليه قوله:

ودعت قلبي ساعة التوديع ... وأطعت قلبي وهو غير مطيعي
إن لم أشيعهم فقد شيعتهم ... بمشيعين تنفسي ودموعي[1]

وقد أشار الزركلي إلىٰ محمد بن صالح القحطاني في كتابه «الأعلام» وذكر أن وفاته كانت سنة ٣٨٧هـ».

أقول: إنما أورده عن صاحب «أريج البضاعة» وما نقله عن الزركلي من أن وفاته كانت سنة ٣٨٧هـ محال؛ لأن الوقائع والأحداث والأشخاص الذين ردّ عليهم القحطاني مثل المعرّي الهالك سنة ٤٤٩هـ، وابن تومرت المتوفىٰ ٥٢٤هـ، أو من أدخل الأشعرية إلىٰ بلاد المغرب والأندلس بين القرنين الخامس والسادس الهجري... الأمر الذي يؤكد أن القحطاني كان بعد ذلك الوقت يقينًا.

هذا وقد أشار ابن القيم إلى هذه النونية بقوله:

ولقد أتىٰ في نظمه من قال قو ... ل الحق والإنصاف غير جبان
أن الذي هو في المصاحف مثبت ... بأنامل الأشياخ والشبان
هو قول ربي آيه وحروفه ... ومدادنا والرَّق مخلوقان
فشفىٰ وفرق بين متلو ومصنـ ... ـوع وذاك حقيقة العرفان
الكل مخلوق وليس كلامه ... المتلو مخلوقا هنا شيئان
قد أفسدا هذا الوجود وخبَّطا الـ ... ـأذهان والآراء كل زمان

(١) «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» للمقري التلمساني، (٢/ ١٥٢).

وفي قوله أيضًا:

ولقد شفانا قول شاعرنا الذي ... قال الصواب وجاء بالإحسان
إن الذي هو في المصاحف مثبت ... بأنامل الأشياخ والشبان
هو قول ربي آيه وحروفه ... ومدادنا والرَّق مخلوقان

... إلخ، بل وضَمَّن نونيته بعض أبياتها؛ فانظر مثلا الأبيات رقم (١٧٤ - ١٧٨، ١٨٨ - ١٩٧، ٢١٧، ٤٢٨، ٤٣٠، ٤٥١، ٥٥٦، ٥٦٢ - ٥٦٣، ٧٦٩، ٧٧٥..).

فعلينا طلبة العلم أن نشتغل بذلك وأن ننأىٰ بأنفسنا عما يشغل عن ذلك من كثرة القيل والقال، وما لا فائدة فيه، وإذا أشكل أمر ما أو عَنّت مسألة وبخاصة ما يتعلق بالأمور الكبار ومصالح المسلمين أو له علاقة بالفتن، فالواجب ترك معالجة ذلك للعلماء الربانيين، الذين «ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[(١)]، الذين هم أكبر منّا، وأعلم منّا، وأفقه بمعاني الكتاب والسنة منّا، وأعرف بما يتعلق بالشريعة من قواعد ومقاصد، وأدرىٰ بمراعاة المصالح والمفاسد، وأدرىٰ بمراعاة درء الفتن، فإنهم يزنون الأمور بميزان الشَّرع؛ فربّما تطلّب الأمر عندهم «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا»[(٢)] دون التصريح، وربَّما تطلَّب الأمر مجرَّد التلميح والتلويح، وربَّما تطلَّب الأمر بيان الحق بدليله دون الخوض فيما يخالفه، وربما تطلب المقام الرد بطريقة علميَّة جيدة تراعىٰ فيها مقتضيات الأحوال، وربما تطلب الأمر «بئس الخطيب أنت»[(٣)]؛ فهم أعلم بمراعاة مقتضيات الأحوال؛ وقديمًا قيل: أعط القوس باريها.

---

(١) أخرجه البيهقي [٢٠٧٠٠]، وابن عساكر (٧/ ٣٨) من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العُذري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الإمام أحمد كما في «جامع الأحاديث» للسيوطي برقم [٢٦٦٤٣]، وصححه الألباني في «المشكاة» [٢٤٨].

(٢) أخرجه أبو داود [٤٧٨٨]، والنسائي [٣٢١٧] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وصححه الألباني. انظر: «صحيح الجامع» [٤٦٩٢].

(٣) طرف من حديث أخرجه مسلم [٨٧٠] من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ذُكر عن أبي الأسود الدُؤَلي قال:

إنّ الأمـــور إذا الأحـــداث دبّـرهـا دون الشيوخ ترىٰ في سيرها الخللا[١]

فإنـك لتجـد أحيانًا بعـض المتسرِّعين يقحمون أنفسـهم في مسـائل لا قِبل لهم بها، ويَدخلون في إثارة مسـائل لا يدركون عواقب الأمور الناتجة عن الخوض فيها فيدورون في حلقة مفرغة «**رَحِمَ الله امرأً عرف قدر نفسه**»[٢]! يختلفون في مسألة ما أو في شخص ما، فينقسمون إلىٰ قسمين ثم ينشطر الآخرون إلىٰ أقسام ثم ينشطرون إلىٰ أقسام - والعياذ بـالله - وهذا هو شـأن أهل البدع والأهـواء، حيث إنهم يتفرقـون ويتناحرون ويختلفون عند أدنىٰ سـبب أو بلا سبب فيصيرون شيعًا وأحزابًا، كل حزب بما لديهم فرحون، وقد ذم الله أصحاب هذا المسلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ولا تلتفت يا عبد الله إلىٰ أولئك الرعاع والشُّذَّاذ؛ شُذَّاذ الآفاق وشر الطَّوائف الذين يهوِّنـون من شـأن علماء الأمَّة، فإذا رأيـت النَّاس يتكلَّمون في العلـماء والولاة؛ فاعلم أنهم أصحـاب بدعة وضلالة. قال الخليفة الراشـد عمر بن عبد العزيـز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا رأيت القوم يتناجون في دينهم دون العامة فاعلم أنهم علىٰ تأسيس ضلالة»[٣].

ومـن صفات أصحاب البدع الخوض في أمر علماء الأمّة وولاة أمورها ومن يدعو إلىٰ السـنة بالقدح والتنقص، فإذا رأيت من يغتابهـم ويتكلم فيهم أو يغمزهم، فاعلم أنه صاحب بدعة ومفتتح باب ضلالة؛ فابتعد وانأ بنفسك عنه؛ لأنَّه دنيء يُجْرِب، ومن خالط الجرباء جَرِب - بإذن الله -.

---

(١) «الطيوريات» لأبي الحسين الطيوري الحنبلي، ص: [٣٥].

(٢) أثر عن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انظر: «فيض القدير» [٤٤٣٩].

(٣) انظر: «الزهد» للإمام أحمد، ص: [٢٨٩]، و«شرح السنة» للالكائي (١/ ١٣٥).

قال أبو العلا المعري:

واحـــذر معـاشـرة الـدنـــيء فإنها تُعدي كما يعدي الصحيحَ الأجربُ[١]

قيل للإمام الأوزاعي: إن رجلًا يقول: أنا أجالس أهل السنة وأجالس أهل البدع فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا رجل يريد أن يساوي بين الحق والباطل»، قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما أورد كلامه هذا: «صدق الأوزاعي، إن هذا رجل لا يعرف الحق من الباطل»[٢].

و«**الرجل علىٰ دين خليله**»[٣]، و«**المرء مع من أحب**»[٤].

وللسلامة من ذلك ولحفظ وقتك أيها المسلم عليك بالعلم والتعلم والفقه في دين الله تَعَالَىٰ؛ قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنّما العلم بالتعلُّم وإنّما الحلم بالتحلُّم**»[٥]، وقال: «**من يُرد الله به خيرًا يُفقِّهه في الدِّين**»[٦].

أسأل الله الكريم، رب العرش العظيم أن يرزقنا وإياكم تلك الخيرية، وأن يعلمنا ما ينفعنا في ديننا ودنيانا، وأن يلهمنا رشدنا، ويقينا شر أنفسنا؛ كما أسأله سُبْحَانَهُ أن يستعملنا في طاعته حتىٰ يختم لنا بخير، وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، وأن لا يجعله ملتبسا علينا فنَضِلّ، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ سيدنا ونبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلىٰ يوم الدين.

---

(١) «مجمع الحكم والأمثال»، ص: [١١].

(٢) أخرجه بن بطة في «الإبانة» (٢/ ٤٥٦)، واللالكائي [٢٥٢] في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة».

(٣) أخرجه أبو داود [٤٨٣٣]، والترمذي [٢٣٧٨] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: حسن غريب. وحسنه الألباني بمجموع طرقه. انظر: «الضعيفة» برقم [٩٢٧].

(٤) أخرجه البخاري [٦١٦٩]، ومسلم [٢٦٤٠] من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ١٢٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٣٢٨].

(٦) أخرجه البخاري [٧١]، ومسلم [١٠٣٧] من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

متن نونية القحطاني